علي أحمد باكثير: دوره في مجال الشعر والمسرحية

د/ سيد محمد شاكر، عميد كلية مدينة العلوم العربية، بوليكال

المقدمة

كان علي أحمد باكثير معروفا بإسهاماتهالقيمة في مجال الشعر والمسرحية، حيث سجل فيهما رتبته العالية بعدة قصائد شعرية ومسرحياترائعة. يدهش الدارسون عن علي أحمد باكثير بملاحظة غزارة مساهماته وتنوعها وجمالها الفني ويتيقنندرة الأدباء البارزين الذين نجحوا في ساحات الشعر والرواية والمسرحية مثله. يعترف النقاد أن كان له التفوق المتميز في جميع ألوان الأدب التي مسها، شعرا ومسرحية ورواية، ولا يستحق هذه الخصوصية والميزة إلا قليل من الأدباء، لأن الأديب الذي تضلع في الشعر لا ينجح في المسرحية والرواية وكذلك بالعكس، ولكن باكثير يختلف في هذا المقام عن سائر الأدباء بامتيازاته العجيبة التي مكنته إخضاع أبرز ألوان الأدب كلها بملكته النادرة وبراعته المتميزة.

الإبداع الشعري وعبقرية علي أحمد باكثير

كان علي أحمد باكثير شاعرا منذ نعومة أظفاره، بما كان له توجه طبيعي إلى الشعر من صغره، يقول الشاعر عن نفسه:"كنت شاعرا عندما كنت صبيا قبل أن أبلغ الثالثة عشرة من عمري وتأثرت بالشعراء مثل المتنبي والشوقي، والحافظ، ومطران، وغيرهم. كان موقفي تجاه الشعر جديا، كنت أحب أن أكون شاعرا كبيرا، وأحببت أن أسافر إلى مصر لأن أطلع على آداب أجنبية أيضا، وقرأت من كتابات العقاد وكان لهم شأن كبير في ساحة الأدب وخاصة لأفرنج، حيث ساهموا في ميدان الأدب بصفة متميزة.

تجلت ملكة الشعر في شخصية باكثير مبكرا، حيث ألف قصيدته الأولى في الثالثة عشرة من عمره رثاء لوفاة زوجة والده في حضرموت وأبدى فيه مهارته العجيبة بتقديم الأفكار الفلسفية العميقة عن الموت وتوالت مهمته الشعرية بإبراز مقدراته ومواهبه حتى ألف قصائد متعددة تمس بجميع نواحي الحياة. تشهد ببراعة باكثير في الشعر مواقع متعددة حيث أنشد فيها قصائد رائعة، وخاصة في مرحلة طفولته وشبابه، مثل مرحلة دراسته عند الأستاذ الشيخ محمد بن محمد باكثير واختباره فيها بتقديم بعض النماذج الشعرية ومسائلها ففاز في جميعها بنجاح باهر حتى أدهش أساتذته وزملاءه.

لم ينقطع باكثير عن موهبته الشعرية أثناء زيارته المملكة العربية السعودية، وألف خلالها قصائد متنوعة في مناسبات مختلفة وشارك فيها في مساجلات شعرية كما أنه قدم قصيدته المبدعة في حفل افتتاح دار الحديث الشهيرة. وكان يؤلف باكثير أشعارا جميلة حين إقامته بحضرموت، مشيدا فيها بجهود الملك عبد العزيز في توحيد المملكة وجمع كلمة المسلمين.

وقد عرف باكثير الشعر منذ صباه، أن الأدب الإنجليزي حافل بالشعر الرفيع، ولذا أحب أن يفضل دراسة اللغة الإنجليزية ليكون ماهرا في الشعر الإنجليزي مستوعبا معانيه السامية وأفكاره الحديثة حيث يقول: كانت ثقافتي الأولى عربية خالصة وظلت كذلك حتى حضرت إلى مصر فعزمت أن أدرس الأدب الإنجليزي لما بلغني أنه غني بالشعر الرفيع، فقد كانت غايتي إذ ذاك بعد أن أصقل موهبة الشعر عندي وأعد نفسي لأكون شاعرًا كبيرًا وعسى أن تفتح لي هذه الدراسة آفاقًا جديدة في الشعر فالتحقت بقسم اللغة الإنجليزية في كلية الآداب بجامعة القاهرة.

الشعر المرسل وعلي أحمد باكثير

كان علي أحمد باكثير في مقدمة الأدباء الذين ساهموا في الشعر المرسل في الأدب العربي، حيث يعد مسرحيته " روميو وجولييت" من أفضل مسرحية شعرية استخدم فيها الشعر المرسل الذي لم يكن معروفا لدى العرب آنذاك، ولم يكتف علي أحمد باكثير على الشعر المرسل فقط، بل تذوق الشعر الحر في وقت باكورة ظهوره في الأدب العربي، حيثاستخدمه في مسرحية " أخناتون ونفرتيتي"، يقول الدكتور أحمد فضل شبلول: "يعد الشاعر الكبير علي أحمد باكثير ١٣٢٨-١٣٨٩ هـ واحداً من أوائل الذين فتحوا الطريق أمام الشعراء الجدد لاستخدام الشعر المرسل عن طريق مسرحية " روميو وجولييت "ثم شعر التفعيلة أو الشعر الحر عن طريق مسرحيته " أخناتون ونفرتيتي " التي كتبها عام ١٣٧٥ هـ / ١٩٣٨م"[1]

اندلعت شرارة هذا الفن من الشعر حين خاصم علي أحمد باكثير مع أستاذه الإنجليزي الذي كان يدرسه مادة الأدب الإنجليزي بكلية الآداب بجامعة الملك فؤاد الأول (جامعة القاهرة فيما بعد)، وذلك ذات يوم رفع الأستاذ سؤالا جدليا فيما يتعلق بالابتكار في الشعر، كان هذا الأستاذ يرى أن اللغة الإنجليزية هي التي اختصت بالبراعة والابتكار والإبداع في الشعر المرسل، ولم تنجح أية لغة أخرى مثلما حظيت اللغة الإنجليزية، وكان نجاح محاكات

[1] http://www.odabasham.net/نقد-أدبي/66114-علي-أحمد-باكثير-ابتكر-الشعر-الحر-ثم-انصرف-إلى-النثر

الشعر المرسل في اللغة الفرنسية محدودة، واللغة العربية لن تنجح في هذا الصدد لتعقيد قواعدها وأحكامها، فاعترض عليه علي باكثير وخاصمه وخالفه في دعواه وتحدى الأستاذ، وقال: "أما أنه لا وجود له في أدبنا العربي فهذا صحيح، لأن لكل أمة تقاليدها الفنية، وكان من تقاليد الشعر العربي التزام بالقافية، ولكن ليس ما يحول دون إيجاده في اللغة العربية، فهي لغة طبيعية تتسع لكل شكل من أشكال الأدب والشعر"، فنهره أستاذه وقال له: "كلام فارغ"، كان هذا الجدل نقطة ابتداء ثورة أدبية في مشاعر الشاعر الكبير علي أحمد باكثير، حيث يقول:"فاكتفى بأن أعرض عني وشعرت عندئذ بأن علي أن أتحدى هذا الزعم وأدحض بالبرهان العملي، وانصرفت من الدرس وقد ملك علي هذا التحدي كل أمري، فبدا لي أن خير ما أبدأ به في هذا السبيل هو أن أترجم من شكسبير على هذه الطريقة فذلك أجدر أن يسر لي هذه التجربة وأعون على النجاح فيها"[1]، فطالع كثيرا ودرس عميقا وعكف على قراءة أعمال شكسبير حتى ألهم له أسلوب جديد في الشعر، وهو الشعر المرسل، وعمد إلى ترجمة مسرحية روميو وجولييت، ووجد أن البحور التي تناسب هي لترجمتها التي تتشكل من تفعيلة واحدة كالكامل والرجز، والمتقارب، والمتدارك، والرمل. ثم قام بكتابة مسرحية "إخناتون ونفرتيتي" عام ١٩٣٨م والتي أثبت فيها مهارته العظيمة وريادته الملحوظة في الشعر الحديث معتمدا على أسلوب شعري جديد. يقول الدكتور عبد بدوي: "ثم لجأ باكثير إلى النسخة الإنجليزية من مسرحية " روميو وجولييت " لشكسبير فتخير منها مشهداً فعالجه بالشعر المرسل ثم ترجم المسرحية كلها وتبين له أنه اختار البحور المتحدة التفاعيل التي تستوي تفعيلاتها كالكامل والمتدارك والمتقارب، أما البحور التي اختلفت تفعيلاتها فلم يخترها تلقائياً، وكانت هذه أول تجربة له في الشعر المرسل[2]

بدا لعلي أحمد باكثير أن هذا النوع من الشعر يصلح للشعر المسرحي أو المسرح الشعري، يقول س.موريه صاحب كتاب "حركات التجديد في موسيقى الشعر الحديث" يرى أن قصيدة باكثير التي نشرها في مجلة الرسالة عام ١٩٤٥م بعنوان " نموذج من الشعر المرسل الحر " تعد إحدى تجربتين هامتين لا يمكن إغفالهما، لأنهما دفعتا الشعر الحر خطوة إلى الأمام.

[1]علي أحمد باكثير، فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية، مكتبة مصر ص ٧-٨

[2]لقاء فاروق شوشة مع علي أحمد باكثير برنامج (فن وفكر) بالتلفزيون الكويتي عام 1969م والذي أعيد نشره في مجلة " اليمن الجديد " وانظر أيضاً د. عبده بدوي " علي أحمد باكثير شاعراً غنائياً " الكويت: حوليات كلية الآداب . الحولية الثانية 1981م (1400 هـ) ص36. وانظر أيضاً د. محمد عبد المنعم خاطر، باكثير والشعر المرسل وباكثير وبداية الشعر الحر، القاهرة: مجلة الكاتب، العددان 201، 206 ديسمبر 1977 مايو 1978م.

والقصيدة التي يبحث عنها س. موريه هي "قصيدة يا فرنسا اسمعي" المنشورة في ١٣٦٤/٧/١٥ هـ. ٢٥ يونيو عام ١٩٤٥م بمجلة الرسالة، والتي يقول باكثير في مقطعها الأول:

عجباً كيف لم تعصف بالدنى زلزلة؟

كيف لم تهو فوق الورى شهب مرسلة؟

يا لها مهزلة!

يا لها سوءة مخجلة!

مثلت دورها أمة تدعي ضلّة أنها من كبار الدول.

سلمت للمغيرين أوطانها

لتواري في سوريا وفي لبنان الخجل.

أمة ولت من وجه العدو فراراً

من ضربته الأولى انهارت ككثيب الرمل انهيارا

خاست بمواثيق أحلافها الباسلين

الذين توافوا إلى أرضها منجدين

ثم خرت ساجدة تحت أقدام أعدائها المعتدين[1]

يقول الدكتور احمد فضل شبلول بهذا الصدد: "لعل س. موريه يقصد هنا شكل القصيدة المفردة وليس الشكل المسرحي الذي كتبه باكثير قبل هذا التاريخ"[2].

بعض النقاد مثل الدكتور كمال النجمي يرىأن باكثير كان ممن سبق إلى ابتكار الشعر المرسل في الأدب العربي، بينما يذهب جمهور العلماء إلى أن الفضل في ابتكار الشعر المرسل إلى نازك الملائكة وبدر شاكر سياب، ومع ذلك لا يدعي علي احمد باكثير أنه هو الذي ابتدأ هذا الفن، " ويعلن باكثير أنه ليس له فضل ريادة هذا اللون من الشعر، وإنما سبقته محاولات وتجارب في ذلك، ففي اللقاء الذي أجراه فاروق شوشة مع علي أحمد باكثير لتلفزيون الكويت قبيل وفاة باكثير، يقول الرجل: " هناك محاولات من جميل الزهاوي الشاعر العراقي اقتصر فيها على إرسال البيت من القافية، فالأبيات كما هي في الشعر العربي القديم، إلا أنه أطلقها من القافية وسماها بالشعر المرسل، ثم جاء بعد ذلك الأستاذ محمد فريد أبو حديد ونظم نظماً مختلفاً عن هذا لأنه أرسل البيت من القافية وزاد على ذلك بأن اعتبر البيت الشطر بيتاً"[3]

ولكن من المسلم بين الأدباء أن لعلي أحمد باكثير فضل التوجه إلى الشعر المرسل في كاتبة المسرحية وان قل عمقه في هذا اللون من الأدب، لعدم متابعته فيه، يقول علي أحمد باكثير: " الواقع أنا قليل القراءة لمثل هؤلاء -

[1] محمد أبو بكر حميد، شعر علي أحمد باكثير المنشور في الصحف والمجلات من 1929 إلى 1969م (معد للطباعة) ولعل س. موريه يقصد هنا شكل القصيدة المفردة وليس الشكل المسرحي الذي كتبه باكثير قبل هذا التاريخ.

[2] http://www.odabasham.net/نقد-أدبي/66114-علي-أحمد-باكثير-ابتكر-الشعر-الحر-ثم-انصرف-إلى-النثر

[3] http://www.odabasham.net/نقد-أدبي/66114-علي-أحمد-باكثير-ابتكر-الشعر-الحر-ثم-انصرف-إلى-النثر

بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي - مع الأسف، لأنني شغلت بأشياء كثيرة، وأنت تعرف أن الوقت ضيق، وكان بودي لو أتابع. ويقول الدكتور أحمد فضل الشبلول: "ولقد حاول عدد كبير من النقاد والأدباء المحدثين أن ينسبوا ريادة الكتابة في هذا الشكل الجديد لكل من بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي.. وغيرهم، ولكن يعترف السياب صراحة بريادة باكثير للشعر الحر فيقول:إذا تحرينا الواقع وجدنا أن الأستاذ علي أحمد باكثير هو أول من كتب على طريقة الشعر الحر في ترجمته لرواية شكسبير " روميو وجوليت " التي صدرت في كانون الثاني عام ١٩٧٤ م بعد أن ظلت تنتظر النشر عشر سنوات"[1]

إذا أمعنا النظر في مسار حياة هذا الشاعر الكبير نجد فيه الإبداع والابتكار والتميز في الشعر المرسل، ولكن السبب وراء عدم ورود اسمه في قائمة الأدباء المشهورين في الشعر المرسل هو ابتعاد علي باكثير عن هذا النوع من الشعر، وذلك لقلة رغبته في هذا اللون، انشغل لكاتبة المسرحية النثرية، "فهو يرى أن النثر هو اللغة المثالية للمسرحية مهما كان موضوعها شعرياً[2]، هذا التغيير في وجهة نظره عن الشعر تسبب في ابتعاده عن الشعر، ومن ثم فإنه لم يشتهر لدى الأجيال التالية له على أنه شاعر، ولكن اشتهر بكونه كاتباً مسرحياً ومؤلفاً روائياً، الأمر الذي دعا كلاً من الدكتور عبده بدوي والدكتور محمد أبو بكر حميد إلى الحديث عن علي أحمد باكثير شاعراً، فقدم د. عبده بدوي كتابه "علي أحمد باكثير شاعراً غنائياً وصدر عن حوليات كلية الآداب جامعة الكويت عام 1400 هـ. 1981م

ومن أبرز إسهامات علي أحمد باكثير الشعرية القصائد التي قرض في مختلف أطوار حياته، قد قام الدكتور أبو بكر بتحقيقها وتقديمها، ويعرف هذه المجموعة باسم ديوان أزهار الربى في شعر الصبا، تم إصدار هذا الديوان عن الدار اليمنية للنشر والتوزيع عام 1408 هـ (1987م)، يحتوي هذا الديوان على ١٣٨ قصيدة،

فيها القصائد التي كتبها في صباه وأثناء وجوده في حضرموت وأندونيسيا، وقد قسم الدكتور أبو بكر هذه القصائد إلى الأبواب التالية: باب الأدب، باب الوصف، باب النسيب، باب الإخوانيات، باب الاجتماعيات، باب الرثاء، باب الاستيحاء والتشطير

[1] مجلة الآداب، عدد رقم 6 يونيو 1994، السنة الثانية، باب مناقشات ص 69.

[2] من لقاء فاروق شوشة مع علي أحمد باكثير برنامج (فن وفكر) بالتلفزيون الكويتي عام 1969م

وبجانب إلى ديوانه يوجد هناك مجموعة ضخمة من القصائد المصورة التي نشرها باكثير في الصحف والمجلات العربية والإسلامية في كل من حضرموت وأندونيسيا وسنغافورة، والحجاز، ومصر وغيرها. ويرى أبو بكر حميد أن شعر باكثير المنشور لا يشكل إلا حوالي ٣٠% من مجموع شعره كله الذي لا يزال معظمه مخطوطاً باستثناء ديوان شعره في حضرموت الذي طبع تحت عنوان " أزهار الربى في شعر الصبا[1]

وأردف قائلا: إن شعر باكثير كاملاً من الممكن أن يصنف في دواوين ثلاثة تضم شعره في حضرموت، والحجاز ومصر وبدون هذا العمل لا يمكن الحكم على باكثير شاعراً "[2]

من خصائص شعر علي أحمد باكثير الالتزام بالقيم، كان شعره يحمل رسائل ذا قيمة عالية مع الالتزام بالقالب الشعري والانتساب إلى التراث العربي العريق، والتقاليد الإسلامية الشامخة، كان يتحدث من خلال شعره شعب جزيرة العرب برمته كما يخاطب جميع العجم التابع للقيم الإنسانية. يتصف شعره بأنه كان يمر بالأحداث التي تقع في جواره وبيئته، كما يتصف بشدة الانفعال وعدم المعاودة والصقل الفني، يجدر بنا الاستماع إلى كلام د. عبده بدوي على شعر باكثير حيث وصفه " بصرامة القالب الشعري، والحضور الشديد للتراث العربي والمواريث الإسلامية وشدة الانفعال، لا الفعل، بالأحداث التي كانت تمر بأمته وبه، وعدم المعاودة والصقل الفني لكثير من الشعر الذي قاله، وعدم التعامل مع العناصر الدرامية في القصيدة، ولكن يبقى له على الرغم من الصمت المضروب عليه. أنه في بعض شعره تجاوز الطريقة الشطرية الخليلية، وتجديد الموشحات وطريقة ما اصطلح عليه في عصره باسم " الشعر المرسل " واسم " مجمع البحور" وذلك حين تعامل بنضج واقتدار مع تفعيلة بحر المتقارب من غير تقيد بعدد من التفعيلات في كل بيت "[3].

كان علي أحمد باكثير يتجه في شعره إلى الجانب السمعي، وذلك لكثرة اعتماده إلى المواريث والتقاليد أكثر من انتسابه إلى الجانب الحالي، وكان شعره يستخدم البحور القصيرة، كما كان يميل إلى القافية الجزلة، حيث يقول الدكتور عبده بدوي:" فالشعر عند باكثير يركز على الجانب السمعي أكثر من الجانب البصري، وهو يعد بهذا امتداداً لمواريث القصيدة العربية، كما يتحقق في هذا الشعر ائتلاف اللفظ مع الوزن بمعنى أن تكون الأسماء والأفعال تامة، وأن يكون كل في مكانه

[1] مقدمة محمد أبو بكر حميد لشعر علي أحمد باكثير المنشور في الصحف والمجلات من 1929 إلى 1969
[2] نفس المرجع
[3] د. عبده بدوي " علي أحمد باكثير شاعراً غنائياً " الكويت: حوليات كلية الآداب. الحولية الثانية 1981م

الصحيح في غير اضطرار إلى نقص أو زيادة أو تقديم ما يجب أن يؤخر، وتأخير ما يجب أن يقدم.. وما إلى ذلك، ويميل شعر باكثير بعامة إلى البحور القصيرة، وإلى القافية الجزلة، وإلى المواريث الخاصة بالقصيدة المحكمة، وإن إضافته الحقيقية داخل هذا الشكل تكمن في شعره الذي تسود فيه روح الدراما[1]، كان يرى علي أحمد باكثير أن البحور التي تصلح للشعر الجديد هي التي تتكون من تفعيلة واحدة مكررة كالكامل والرجز والمتقارب والمتدارك والرمل، وبالإضافة إلى هذا فقد أدرك باكثير أن بحر المتدارك يعد أصلح البحور كلها لهذا الضرب من الشعر."[2]

عبقرية علي أحمد باكثير في المسرحية

خلال إقامة باكثير في مصر، كتب العديد من المسرحيات التي انتشرت كاللهيب يشتعل في ليل الأربعينات جعلت منه عدوا للاستعمار مبطلا لفكر الصهيونية ومعارضا لمؤيديها، كمسرحية دم الشهداء، وذكرى من الشرق الأقصى، ودولة تتسول، ورؤيا بونابرت وغيرها العديد من المسرحيات التي قاربت الستين، جمعت عشر مسرحيات من الستين في كتابه مسرح السياسة والبقية مازالت مبعثرة داخل صفحات الصحف العربية

وفي عام ١٩٥١م ألف باكثير مسرحيته امبراطورية في المزاد التي قصد بها الاستعمار البريطاني المؤيد للصهيونية، ودعا فيها الى تكتل دول العالم الثالث، وكذلك لامس قلب باكثير ما فعله عبد الكريم القاسم ذاك الذي ذبح القوميين وعلق جثثهم بالآلاف في العراق، فكتب مسرحية الزعيم الأوحد عام ١٩٥٩ م، كان هدفه من هذه المسرحية إيضاح ما تحمله الشيوعية من خطر على الأمة العربية والإسلامية.

وقد اهتم باكثير بقضية فلسطين اهتماما بالغا كما احتلت هذه القضية حيزا كبيرا من تفكيره ووجدانه، حيث تنبأ بوقوعها قبل ثلاث سنوات من تلك التراجيديا، وكتب عدة مسرحيات يتنبأ فيها بقيام دولة إسرائيل وهزيمة جيش العرب، وترجمها للإنجليزية حتى وصل صوته الى الرأي العالمي محذرا مما سيصبح إليه فلسطين. احتلت مسرحياته شيلوك الجديد، وشعب الله المختار، وإله إسرائيل، والتوراة الضائعة مكانة مرموقة في قضية فلسطين وما يتعلق بها من عدة مشاكل، لكن في المقابل لم تحظ تلك المسرحيات بالانتشار الكافي بسبب امتناع دور النشر عن قبولها ونشرها. ثم جاء خبر هزيمة الجيوش العربية أمام العدو الصهيوني، فحزن باكثير لتلك الكارثة حزنا شديدا قضى على صحة جسده، وفي هذا

[1] http://www.odabasham.net/نقد-أدبي/66114-علي-أحمد-باكثير-ابتكر-الشعر-الحر-ثم-انصرف-إلى-النثر
[2] نفس المرجع

يقول الأستاذ خيري حماد: "أبصرت الدمعات تتساقط من عيني الأستاذ المرحوم الفقيد الغالي باكثير، وهو يقف عند شريط الحدود الفاصل بين قطاع غزة والأرض المحتلة على بعد أمتار قليلة وهو يرى الثكنة الإسرائيلية وقد ارتفع عليها العلم الإسرائيلي.. رأيت عبرات باكثير فلم أتعجب، فلقد أحب باكثير فلسطين كما أحب وطنه حضرموت والقاهرة، وكل وطن عربي، بل إن لفلسطين مكانة خاصة في نفسه رافقته طوال حياته، فلقد أحب باكثير فلسطين حبا عميقا، ويكفي ما خلده فيها من أعمال أدبية رائعة

استمدت مواضيع بعض مسرحيات باكثير من باطن التاريخ العربي الغابر، وذلك لما يتضمنه تاريخ العرب والإسلام من بطولات ومواقف عظيمة يجب أن يعيها جيل الشباب في الحاضر، ويعمل كما أجداده عملوا وأخلصوا لدينهم ووطنهم، فالتاريخ هو الصلة بين حاضر الأمة وماضيها. وتعتلي الأسطورة في مسرحيات باكثير على التاريخ في بعض الأحيان، وذلك لما تزخر به الأسطورة من تراث قومي وشعبي وهي بالتأكيد أقدم من التاريخ فتساهم جدا في حل وعلاج مشاكل العصر الحاضر

والمراد بمشاكل العصر مشكلة السلام وعصر الفضاء، ففيها ألف باكثير مسرحيته هاروت وماروت، ومشكلة القلق النفسي لدى الشاب المعاصر، وكتب فيه مسرحية فاوست الجديد وغير ذلك من المسرحيات التي تحاول أن تقلل من مشاكل العصر الراهن وتحد من انتشاره ويعرف باكثير رائد الشعر المرسل، بما كان في بدايات كتابته للمسرحية يكتبها بالشعر المرسل، حيث ترجم مسرحية روميو وجولييت بالشعر المرسل، ثم ألف مسرحية إخناتون ونفرتيتي، لكن بعدها اتجه إلى كتابة المسرحيات النثرية. بدأ ظهور باكثير في ساحة المسرحية عندما انضم إلى لجنة النشر للجامعيين عام ١٩٤٣م مع زملائه الأدباء عبد الحميد جودة السحار ونجيب محفوظ وعادل كامل. وكان باكثير من أعظمهم إنتاجا، حيث بدأ بكتابة مسرحياته قبل قدومه إلى القاهرة، فمسرحيته الشعرية همام أو في عاصمة الأحقاف التي أهداها لزوجته الراحلة، وكانت أكبر دليل على أسبقيته في مجال المسرحية. ويتميز باكثير بالجدية والإصرار والعزيمة، حيث كان يكتب يوميا أكثر من عشر ساعات حتى أصيب في فقرات ظهره، وكان يقضي الساعات الطوال قلقا يفكر بكلمة يريد اختيارها بدقة. وكان باكثير أديبا هادفا ملتزما حيث استهدف الغايات النبيلة وراء تأليفه المسرحي: "إنني أسعى في مسرحياتي لتحقيق هدفين: الهدف الأول سياسي والثاني إنساني، أما الهدف الأول فمحوره الدعوة إلى الوحدة العربية، أما

مجلة كاليكوت المجلد الثالث عشر، العدد الثالث، سبتمبر- ديسمبر ٢٠٢٣

الهدف الإنساني فهو يتعلق بالتعبير عن روح الإسلام ومثله العليا ونظرته إلى الكون والحياة ولم تكن رحلات باكثير مقتصرة بأماكن العالم من مدن ومراكز، بل أجراها عبر الزمان بين الحضارات والعصور، وقام بأسفار عديدة في أعماق السير والتاريخ والأساطير، حيث أنتج منها منتجات أدبية ثرية مثل مأساة أوديب، المسرحية الجميلة التي تتناول تاريخ وحضارات ما قبل الإسلام والمسرحيات إخناتون ونفرتيتي والفلاح الفصيح والفرعون الموعود، ووأوزوريس، حيث كانت تعالج موضوعات الأساطير الإغريقية والتاريخ الفرعوني، كما أن مسرحية "فاوست" الجديد تقص على الأساطير الأوربية المسيحية.

تجول باكثير حول التاريخ العربي والإسلامي رواية ومسرحية وشعرا بتقديم مؤلفات قيمة أمثال ملحمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهاروت وماروت وسر الحاكم بأمر الله ومن فوق سبع سماوات ودار بنلقمان، كما أنه قدم ثلاثية الدودة والثعبان وأحلام نابليون ومأساة زينب التي تقص القراء عن حملة نابليون وتاريخ اليهود عبر الزمان، كما توجد مسرحياته الشهيرة شيلوك الجديد وإله إسرائيل وشعب الله المختار والتوراة الضائعة التي تتناول الموضوعات المتعلقة باليهود وقضية فلسطين وغيرها من القضايا المتواجدة في تلك المنطقة

ولم يترك باكثير الأحداث الجديدة والأوضاع السائدة التي عايشها، بل قام تصويرها خلال أعماله الأدبية تصويرا جميلا، فقد تنبأ بوقوع أحداث فلسطين من أيدي إسرائيل الغاشمة قبل سنوات من ظهورها، وذكرها في المسرحايات التي ألفها في هذا الموضوع، كما أنه تناول موضوعات العصر الراهنة خلال مسرحياته جلفدان هانم والدكتور حازم والسلسة والغفران وقطط وفيران والدنيا فوضى وقضية أهل الربع وأغلى من الحب وحبل الغسيل وعاشق حضرموت.

وكان تجوله الأول بعد نزوله في مصر، هو إلى السودان في سنة ١٩٤٦م مع زملائه بمدرسة الرشاد الثانوية بالمنصورة التي كان يشتغل فيها مدرسا للغة الإنجليزية، وصور هذه الرحلة في ثلاث مسرحيات له تصويرا جميلا لبلدة السودان وهي ملك السودان وبالرفاء والبنين والحاجز المستحيل.

مسرحياته التاريخية الشعرية: إبراهيم باشا، وأخناتون ونفرتيتي، والشيماء، وقصر الهودج، وهمام أو في عاصمة الأحقاف.

مسرحياته التاريخية النثرية: إبراهيم باشا رسول الوحدة العربية، وأبو دلامة مضحك الخليفة، والدودة والثعبان والفرعون الموعود، والفلاح الفصيح ودار ابن لقمان، وسر الحاكم

بأمر الله، وملحمة عمر، ومن فوق سبع سماوات، وهاروت وماروت، وهكذا لقي الله. مسرحياته الاجتماعية: الدكتور حازم، والدنيا فوضى والسلسلة والغفران، وجفلدان هانم، وحبل الغسيل، وقطط وفيران. ومسرحياته الأسطورية وأوزوريس، وسر شهرزاد، ومأساة أوديب. ومسرحياته السياسية إمبراطورية في المزاد والتوراة، الضائعة، والزعيم الأوحد، والسكرتير الأمين، والمقراض، وإله إسرائيل، وراشيل والثلاثة الكبار، وشعب الله المختار، وشيلوك الجديد، والحل وعودة الفردوس وليلة ١٥ مايو، ومسمار جحا ومعجزة إسرائيل، ونقود تنتقم. مسرحياته المترجمة: الليلة الثانية عشرة، وروميو وجوليت، ولحظات التجلي

الخاتمة

يتضح لنا من هذه الدراسة ان علي أحمد باكثير لم يكن روائيا فقط، بل كان شاعرا رائعا بعد كونه مسرحيا مبدعا، ظهرت في قريحته ملامح الشعر قبل ان يصير بالغا، ولا يكون خطأ ان يقال عنه هو يقف في الصف الأول من الذين اقتحموا على بناء نوع جديد من الشعر، الشعر الحر أو الشعر المرسل، هكذا كان باكثير ممن يحمي اللغة العربية من أعدائها ويفاخر بالعروبة، ولأعماله المسرحية أثر بالغ في توسيع دائرة الأدب العربي في القرن الماضي.

المراجع

- علي أحمد باكثير، فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية، مكتبة مصر
- http://www.odabasham.net/نقد-أدبي/66114-علي-أحمد-باكثير-ابتكر-الشعر-الحر-ثم-انصرف-إلى-النثر
- [1]لقاء فاروق شوشة مع علي أحمد باكثير برنامج (فن وفكر) بالتلفزيون الكويتي عام 1969م والذي أعيد نشره في مجلة " اليمن الجديد
- د. عبده بدوي " علي أحمد باكثير شاعراً غنائياً " الكويت: حوليات كلية الآداب . الحولية الثانية 1981م
- د. محمد عبد المنعم خاطر، باكثير والشعر المرسل وباكثير وبداية الشعر الحر، القاهرة: مجلة الكاتب، العددان 201، 206 ديسمبر 1977 مايو 1978م.
- محمد أبو بكر حميد، شعر علي أحمد باكثير المنشور في الصحف والمجلات من 1929 إلى 1969م